الشؤون العائلية عند الشيخ الطاهر بن عاشور فى تفسيره" التحرير والتنوير"

وأثرها على المجتمع

Family affairs of Sheikh Tahir bin Ashour in his interpretation of "liberation and enlightenment" and its impact on society

عبدالواحد *

د. سميع الله **

د. شفيقه بشرى***

ISSN (P) 2664-0031 (E) 2664-0023

DOI: https://doi.org/10.37605/fahmiislam.v5i1.3

Received: February 27 ,2022
Accepted: June 15, 2022
Published: June 30,2022

Abstract

Islamic law is a comprehensive system for all matters of life and human behavior, and its rulings are valid for “all of humanity at every time and place”, “and since the family and the family are the first building block of society”, “and it is one of the families”, i.e.: strength,“with the strength of the family and its reform”, the society is strengthened and reformed, and the weakness and corruption of the family weakens Society and corrupts, and God Almighty has set a platform for the family to organize it, and since the “Pakistani family law is based on the Qur’an and Sunnah” according to the national constitution, so we Pakistanis are in dire need of studying a topic like this “in the light of Islamic law”, The researcher focuses on the statement of Sheikh Al-Taher bin Ashour’s opinion of the affairs of family rulings through his interpretation of “liberation and enlightenment.” Sheikh Ibn Ashour is “one of the most prominent scholars of the modern era” who served the purposes of Sharia, and cared about its secrets and rulings, and this phenomenon of legal purposes prevailed in all his works and writings, especially in His interpretation of “Liberation and Enlightenment,” which is considered a scientific encyclopedia, and the Sheikh combined authenticity and modernity together, and as the researcher mentions the impact of this study on Pakistani society, and the research will be in the form of two topics, demands and a conclusion, In sha Allah.

Keyword: Islamic literature. Allama Muhammad Iqbal, Theory The family system & its provisions,The way Al-Sheikh Ibn Ashour took it in his interpretation, Its impact on Pakistani society.

* محاضر، قسم العلوم الاجتماعية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، راولبندي -باكستان

** الاستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علامة اقبال المفتوحة اسلام آباد-باكستان

*** إستاذة المساعدة بجامعة سوات

الحمد لله الّذى نصب للحق دليلاً، والصّلاۃ والسّلام على النّـبى الأمين، أعلم النّاس بمراد اللـه تعـالى ، وعلىٰ صـحابته الكـرام رضوان الله عليهم وعلىٰ من تبعهم بإحسان إلى يـوم الـدين ، فالشريعة الإسلامية نظام شامل لجميع شؤون الحياة وسـلوك الإنسـان ، وأحكامهـا صـالحة للبشـرية كلهـا فى كـل زمـان ومكـان ، وبمـا أن العائلـة والأسـرة هي اللبنـة الأولى فى بنـاء المجتمـع ،وهي من الأسـر، أي : القـوة ([1]) ، فبقـوة الأسـرة وإصـلاحها يقـوى المجتمـع ويصـلح وبضـعف الأسـرة وفسـادها يضعف المجتمع ويفسد ، ووضع الله جلّ وعلا للأسـرة منهاجـا ينظمها، وبما أن قانون الأسرة الباكستاني تابع للقرآن والسـنة وفق الدستور الوطني، لذلك نحن الباكستانيون فى أمس الحاجـة إلى دراسـة موضـوع كهـذا فى ضـوء الشـريعة الإسـلامية ، ويركز الباحث على بيان رأي الشيخ الطاهر بن عاشـور من شـؤون أحكام العائلة من خلال تفسيره " التحرير والتنـوير " ، والشـيخ ابن عاشـور من أبـرز علمـاء عصـر الحـديث الـذين خـدموا مقاصـد الشـريعة ،واهتمـوا بأسـرارها وحكمهـا ، وهـذه الظـاهرة المقاصدية الشرعية غلبت فى جميع مصنّفاته ومؤلفاته ، خاصـة فى تفسيره " التحرير والتنوير " الذي يعتبر موسوعة علميّة ، والشيخ جمع فيه بين الأصالة والمعاصرة معا ، وكمـا يـذكر الباحث أثر هذه الدراسة على المجتمع الباكسـتاني ، وسـيكون البحث فى صورة مبحثين ومطالب وخاتمة بمشيئة الله جلّ وعلا .

الكلمات المفتاحية : نظام العائلة وأحكامها - طريقة تنـاول الشـيخ ابن عاشـور منهـا فى تفسـيره – أثرهـا على المجتمـع الباكستاني.

خطة البحث :

يتضمن البحث تمهيدا وفيه ترجمة موجزة للإمام ابن عاشـور ـ رحمه الله ـ والتعريف بتفسيره "التحرير والتنوير" ومبحـثين ، البحث الأول يشتمل على بيان مفهوم شؤون ومفهوم الأحكـام ومفهوم العائلة، والبحث الثاني يشتمل على النماذج التطبيقيـة من خلال تفسير "التحرير والتنوير"، وأثر هذه الشؤون العائلية على واقعنا الحالي فى المجتمع الباكستاني .

التمهيـد: نبـذة مختصـرة عن العلامـة الطـاهر بن عاشور- رحمه الله - وتفسيره " التحرير والتنوير"

اسمه ونسبه ومولده :

قد قام الخلف عن السلف في حفظ تاريخهم بالترجمة لهم خدمة لتراثهم وإحياء لذكراهم وإن مثل الشيخ ابن عاشور رحمه الله لجدير بذكر ترجمته والاستفادة من منهج حياته في تعلمه وتعليمه. وإني لأستعين الله فيما أذكر:

اسمه "محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتُّور، و أصل عائلته بلاد الأندلس، ثم انتقلت إلى سلا ببلاد المغرب، ثم انتقل إلى تونس، ولد الشيخ ابن عاشور بقصر جده لأمه بالمرسى" في جمادى الأول ١٢٩٦ ه= ١٨٧٩ م)، "وهو من عائلة عريقة في العلم"،"وطبقةاجتماعيةرفيعة"،"فجده لأبيه كان قاضي الحاضرة التونسية"،"وجده لأمه العلامة الوزير الشيخ محمد العزيز" ([2]).

"**وفاته**" :

انتقل إلى رحمة الله وحسن جواره صاحب الفضيلة "مابين البحث والتدريس،والعلم والتأليف"،

فتوفي-"رحمه الله"- "يوم الأحد ١٣ رجب سنة ١٣٩٣ه" - "١٩٧٣م" . ([3])

"**منهج التفسير**":

وقد أشار الشيخ إلى موضوعات "تفسيره ومنهجيته التي اعتمدها في تفسيره كل ما يتعلق بالآيات والسور"، "فقال" : "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال" ، "واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخرالدين الرازي" ، "وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى نظم الدرر في تناسب الآي والسور، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظارالمتأملين لفصل القول تتطلع"... "واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق، مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم

النحارير" ([4])، وقد أثنى تفسيره بأنه: "ساوى هذا التفسير على اختصـاره مطـولات القمـاطير" ([5])، "ففيـه أحسـن مـا في التفاسير"، "وفيه أحسن مما في التفاسير" ([6])، وقـد أشـار في نهاية تمهيده إلى "اسم التفسير ومختصره"، فقـال: "وسـميته تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسـير الكتـاب المجيـد، واختصـرت هـذا الاسـم باسـم التحريـر والتنـوير من التفسير" ([7]).

المبحث الأول : مفهوم الشؤون والأحكام والعائلة

وفيه أمور ، **الأمر الأول : مفهوم الشؤون**

فى "لسان العرب" : شأن: الشـأن: "الخطب والأمـر والحـال، وجمعه شؤون وشئان" ، .. "ويقال أقبل فلان وما يشـأن شـأن فلان شأنا إذا عمل فيما يحب أو فيما يكره" ([8])

وفى القاموس المحيط: "الشـأن: الخطب، والأمـر، ج: شـؤون وشئين، ومجرى الدمع إلى العين ، ج: أشـؤن وشـؤون، وعـرق في الجبل ينبت فيه النبع، وموصـل قبائـل الـرأس، وعـرق من التراب في الجبل، ينبت فيه النخل "، ج: "شـؤون ، ومـا شـأن شأنه، كمنع: ما شعر بـه، أو لم يكترثلـه ، وشـأن شـأنه: قصـد قصـــده، كاشـــتأنه، وعمـــل مـــا يحســـنه ، ولأشـــأنن خـــبرهم: لأخبرنهم ، ولأشأنن شأنهم: لأفسدنهم ، وشأن بعدك: صـار لـه شأن" ([9])

وفى "تاج العروس" : " الشأن: الخطب والأمر، والحال الـذي يشين ويصلح. ولا يقـال إلا فيمـا يعظم من الأحـوال والأمـور"، قالـه "الـراغب": (ج {شـؤون} وشـئين) ، "هكـذا في النسـخ، والصـواب": {شـئان،..الشـأن: ("عـرق في الجبـل ينبت فيـه النبع") ، جمعه {شؤون ... الشأن: ("موصل قبائـل الـرأس") إلى العين، والجمع {شؤون.، وقيل: الشؤون: "السلاسل التي تجمع بين القبائل " . ([10])، وفىمعحم لغة الفقهـاء : " الشـأن: مص شأن، ج شؤون، الامر والحال" . ([11])

الأمـر الثـاني : مفهـوم الأحكـام ، فى كتـاب العين : " نظم : النظم نظمـك خـرزا بعضـه إلى بعض في نظـام واحـد، وهو في كل شيء حتى قيل: ليس لأمره نظـام، أي لا تسـتقيم طريقته والنظام: كل خيط ينظم به لؤلـؤ أو غـيره فهـو نظـام، والجميع نظم، وفعلك النظم والتنظيم.. والانتظـام: الاتسـاق... والنظام: العقد من الجوهر والخـرز ونحوهمـا، وسـلكه خيطـه.

والنظـام: الهديـة والسـيرة وليس لأمـرهم نظـام، أي ليس لـه هدي ولا متعلق يتعلق به. وتقول: في بطنها أنـاظيم، والنظـام: بيض الضب كأنه منظوم في خيط، وفي بطنها نظامان، وكذلك نظامـا السـمكة، وقـد نظمت السـمكة فهي نـاظم وذلـك حين يمتلىء من أصل ذنبها إلى أذنبها بيضا. والنظم در ونحـوه ممـا ينظم" ([12]).

وفى تهذيب اللغة : "النظم، نظمك الخرز بعضـه إلى بعض في نظام واحد، كـذلك هـو في كـل شـيء حـتى يقـال: ليس لأمـر نظام، أي لا تستقيم طريقته ... وكـل خيـط ينظم فيـه لؤلـؤ أو غــيره فهــو نظــام وجمعــه نظم .. وفعلــك النظم والتنظيم؛ والنظامان من الضب كشـيتان من الجـانبين منظومتـان بيضـا، من أصل الذنب إلى دبر الأذن، وكذلك الإنظامان". يقـال: "في بطنهـا إنظامــان من بيض، وكــذلك إنظامــا الســمكة" ، وقــد نظمت السمكة فهي منظم، ونظمت فهي ناظم ... ويقال: مـا لهذا الأمر نظام أي استقامة " ([13])

الأمر الثالث : مفهوم العائلـة ، فى معجم متن اللغـة : " العائلة: العيلة. وشـاع كثـيرا إطلاقهـا على من يعـولهم الرجـل ويقوم بأمرهم من أهله، وهي من عاله إذا كفاه معاشه "فاعل بمعنى مفعول". ثم عمت أسرة الرجـل "على طريقـة المجـاز من اسـتعمال الخـاص في العـام".([14])، وفي معجم الوسـيط : "(العائلة) من يضمهم بَيت وَاحِد من الْآبَاء وَالْأَبْنَاء والأقارب"([15]) .

المبحث الثـــاني : النمـــاذج من تفســـير "التحريـــر والتنـــوير للطــاهر بن عاشــور" فيمــا يتعلــق بشــأن النظام العائلي

من المعلـوم أن الإسـلام قـد اهتم ببنـاء الأسـرة – ومـا يتعلـق بها ،"كالخطبة والزواج والعلاقات الأسرية وبيان حقوق الأبنـاء، وحقــوق كــل من الــزوج والزوجــة"، "و مواجهــة المشــاكل والخلافات العائلية إن وجدت"، وطريقةإنهاءالعلاقة الزوجيـةإن اسـتحالت الحيــاة الأســريةالمتكاملة، وبيــان طــرق توزيــع المـيراث"...- "وذلـك لأن الأسـرة الصـحية هي أسـاس الحيـاة الاجتماعية السوية،وهي أساس المجتمـع المتكامـل، ولا يخفى أن المجتمع ليس إلا مجموعة من الأسر المتفاعلة فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع ،وهذا هو ما دعا المصـلحين إلى التركـيز

على ضــرورة الحــرص على بنــاء الأســرة على قــوائم قويــة، وتتضح هذه القوائم بشكل واضح ومعجز في التنظيم الإسلامي للأسرة".
والطريق الأول "لتكوين الأسرة هو نظام الزواج" ، وكلما"كـان الإنسان مطبوعاً على حب البقاء، وإذا كان لا سـبيل إلى بقائـه بذاته"- لأن الكل يموت لامحالة- "والسبيل للبقـاء هـو النسـل المعروف ، يراه امتـدادًا في بقائـه واسـتمرارًا لـذكراه وخلـودًا لحياته". "والطريق إلى ذلك هو نظام الزواج"، يقول اللـه جـل وعلا :
"والله جعل لكم من أنفسكم أزواجـا وجعـل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبـات أفبالباطـل يؤمنـون وبنعمت الله هم يكفرون"([16])
قال الشيخ ابن عاشور تحت هذه الآية الكريمة : "عطــف على التي قبلها، وهو استدلال ببديع الصنع في خلق النسـل إذ جعـل مقارنا للتأنس بين الزوجين، إذ جعل النسـل منهمـا ولم يجعلـه مفارقا لأحد الأبوين أو كليهمـا ، وجعـل النسـل معروفـا متصـلا بأصوله بما ألهمه الإنسـان من داعيـة حفـظ النسـب، فهي من الآيـات على انفـراده تعـالى بالوحدانيـة" كمـا "قـال تعـالى" :
"ومن آياتـه أن خلـق لكم من أنفسـكم أزواجـا لتسـكنوا إليهـا وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلـك لآيـات لقـوم يتفكـرون" ([17]). "فجعلها آية تنطوي على آيات، ويتضـمن ذلـك الصـنع نعمـا كثــيرة، كمــا أشــار إليــه قولــه تعــالى": "وبنعمت اللــه هم يكفرون"، "وهذه نعمة إذ جعل قرين الإنسان متكونا من نوعــه، ولو لم يجعل له ذلك لاضـطر الإنسـان إلى طلب التـأنس بنـوع آخر فلم يحصل التأنس بذلك للزوجين، وهذه الحالـة وإن كـانت موجودة في أغلب أنواع الحيوان فهي نعمة يـدركها الإنسـان ولا يدركها غيره من الأنواع، وليس من قوام ماهية النعمة أن ينفرد بها المنعم عليه" .([18])
الحاصــل من كلام الشــيخ ابن عاشــور"أن الحاجــة تمس إلى الأزواج وثمرة الأزواج وتنظيم الـزواج ليسـت أقـلّ من حاجتنـا إلى حفظ حياتنـا والتمتـع بلذائـذ الحيـاة وطيبـات الـرزق الـتي تحفظ كياننا وتقينا التعرض للضـعف والانحلال"، والـزواج "هـو السبيل لتكـوين الأسـرة الـتي تحقـق للإنسـان إشـباع فطرتـه وإشباع حاجاته النفسـية حيث يجـد كـل من الـزوجين الشـريك

الذي يحقق له السكن والرحمة والمودة والراحة" ، "هذه الإشباعات المتعددة التي يحققها الزواج المشروع حب البقاء والمودة والسكن والرحمة، هو ما يَطلق عليها القرآن الكريم قرة العين التي أطلق الله لسان عباده المقربين بدعائهم إياه بها"، وبهذا يتحقق الأمن فى المجتمع الباكستاني والإبعاد عن العدوان العنيف على الأولاد .

المثال الثاني ، **قال الله جل وعلا :** "وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا"([19])

قال الشيخ ابن عاشور تحت هذه الآية الكريمة : "..والإفضاء الوصول، مشتق من الفضاء، لأن في الوصول قطع الفضاء بين المتواصلين والميثاق الغليظ عقدة النكاح على نية إخلاص النية ودوام الألفة، والمعنى أنكم كنتم على حال مودة وموالاة، فهي في المعنى كالميثاق على حسن المعاملة ، والغليظ صفة مشبهة من غلظ- بضم اللام- إذا صلب، والغلظة في الحقيقة صلابة الذوات،" ([20])

الحاصل من كلام الشيخ ابن عاشور أن هذه الآيات الكريمة تدل على "عمق علاقة الزوجية، بحيث تتخطى كل العلاقات الأخرى في أهميتها ، واعتدت علاقة الزوجية فى الآية الكريمة بميثاق غليظ وقوي من منطوق الآية الكريمة".

المثال الثالث ، "**قال الله جل وعلا" :** "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" ([21])

قد استنبط الشيخ ابن عاشور من هذه الآية الكريمة أنّ الشريعة الإسلامية قد اعتنت بحقوق النساء على الرجال وفيها إعلان بحقوق النساء حيث قال : "وفي الآية احتباك، فالتقدير" : "ولهن على الرجال مثل الذي للرجال عليهن، فحذف من الأول لدلالة الآخر، وبالعكس، وكان الاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوق على الرجال، وتشبيهه بما للرجال على النساء لأن حقوق الرجال على النساء مشهورة، مسلمة من أقدم عصور البشر، فأما حقوق النساء فلم تكن مما يلتفت إليه أو كانت متهاونا بها، وموكولة إلى مقدار حظوة المرأة عند زوجها، حتى جاء الإسلام فأقامها، وأعظم ما أسست به هو ما جمعته هذه الآية ، وتقديم الظرف للاهتمام بالخبر لأنه من الأخبار التي لا يتوقعها السامعون، فقدم ليصغي السامعون إلى المسند إليه، بخلاف ما لو أخر فقيل: ومثل الذي عليهن لهن بالمعروف،

وفي هذا إعلان لحقوق النساء، وإصداع بها وإشادة بذكرها، ومثل ذلك من شأنه أن يتلقى بالاستغراب، فلذلك كان محل الاهتمام، ذلك أن حال المرأة إزاء الرجل في الجاهلية، كانت زوجة أم غيرها، هي حالة كانت مختلطة بين مظهر كرامة وتنافس عند الرغبة، ومظهر استخفاف وقلة إنصاف، عند الغضب، فأما الأول فناشئ عما جبل عليه العربي من الميل إلى المرأة وصدق المحبة، فكانت المرأة مطمح نظر الرجل، ومحل تنافسه،رغبة في الحصول عليها بوجه من وجوه المعاشرة المعروفة عندهم، وكانت الزوجة مرموقة من الزوج بعين الاعتبار والكرامة"، .. "وكانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها إذا حلت له، وإن شاءوا، زوجوها بمن شاؤا وإن شاءوا لم يزوجوها فبقيت بينهم، فهم أحق بذلك فنزلت آية: يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها" ([22])..."وقد ظهر هنا أنه لا يستقيم معنى المماثلة في سائر الأحوال والحقوق، أجناسا أو أنواعا أو أشخاصا لأن مقتضى الخلقة، ومقتضى المقصد من المرأة والرجل، ومقتضى الشريعة، التخالف بين كثير من أحوال الرجال والنساء في نظام العمران والمعاشرة، فلا جرم يعلم كل السامعين أن ليست المماثلة في كل الأحوال، وتعين صرفها إلى معنى المماثلة في أنواع الحقوق على إجمال تبينه تفاصيل الشريعة، فلا يتوهم أنه إذا وجب على المرأة أن تقم بيت زوجها، وأن تجهز طعامه، أنه يجب عليه مثل ذلك ، فعلى المرأة أن تحسن معاشرة زوجها، بدليل ما رتب على حكم النشوز"، قال تعالى: "واللاتي تخافون نشوزهن" ([23]) ، "وعلى الرجل مثل ذلك" قال تعالى: "وعاشروهن بالمعروف" ([24]) "وعليها حفظ نفسها عن غيره ممن ليس بزوج، وعليه مثل ذلك عمن ليست بزوجة" ([25])، ثم قال: "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن" ([26]) الآية، "والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم" ([27])، "إلا إذا كانت له زوجة أخرى فلذلك حكم آخر، يدخل تحت قوله تعالى": "وللرجال عليهن درجة" "والمماثلة في بعث الحكمين، والمماثلة في الرعاية"، .. "وتفاصيل هاته المماثلة، بالعين أو بالغاية، تؤخذ من تفاصيل أحكام الشريعة، ومرجعها إلى نفي الإضرار، وإلى حفظ مقاصد الشريعة من الأمة، وقد أومأ إليها قوله تعالى: بالمعروف أي

لهن حق متلبسا بـالمعروف، غـير المنكـر، من مقتضـى الفطـرة، والآداب، والمصـالح، ونفي الإضـرار، ومتابعـة الشـرع. وكلهـا مجال أنظار المجتهدين" .([28])

الحاصل من استنباط ابن عاشور خلال هـذه الآيـات الكريمـات أنّ الشـريعة قـد أكـدت بحقـوق النسـاء ، وأثبت أن معـنى المماثلـة بين الرجـال والنسـاء فى سـائر الأحـوال والحقـوق لايسـتقيم : من اختلاف الجنس والنـوع والشـخص "لأجـل مقتضى الخلقـة ، ومقتضـى المقصـد من المـرأة والرجـل فى ضـوء الشـريعة" ، والـذي يـدل على عـدم المماثلـة فى كـل الأحوال ، والإسلام قد ارتفع منزلة المرأة وشأنها فعلا ، فهنـاك حقوق متعلقة بالمرأة وحقوق متعلقة بالرجل ، ولابد من أدائها لكل من الرجل والمرأة ، وهي تضمن لجميع مصالح الإنسـانية ذكـرا وأنـثى ، صـغيرا وكبـيرا فى الأحـوال كلهـا ، "وقـد كـرَّمَ الإسـلام المـرأة بعـد أن كـانت كمّـا مهملًا في الجاهليـة، وهـذا التكريم لم يـرقَ إليـه أكـثر القـوانين الغربيـة المعاصـرة الـتي تـدعي أنهـا منحت المـرأة كـل حريتهـا، ويتضـح هـذا التكـريم القــرآني للمــرأة من القاعــدة القرآنيــة الكريمــة ، وإذا كـان الإسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة في الحقـوق والواجبـات فإنه جعل القوامة للرجـل، فالرجـل هـو المسـئول عن المـرأة مكلف بالإنفاق عليها وصيانتها ودفع الشر عنها، فهي مسـئولية قوامة وتكليف وليست مسئولية سيطرة وسلطان وقهر، وهذه المسئولية تقتضيها ضرورة الاجتماع"، فأي جماعة لا بد لها من "قائد ومدير ومتصرف" .

المثال الرابع ، **قال اللـه جـل وعلا :** "كـان النـاس أمـة واحــدة فبعث اللــه النبــيين مبشــرين ومنــذرين وأنــزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه"..ـ. "([29])

قال الشيخ ابن عاشور تحت هذه الآية الكريمـة: "النـاس أبنـاء أب واحـد وأم واحـدة فلا جـرم أن كـانوا في أول أمـرهم أمـة واحـدة لأن أبـويهم لمـا ولـدا الأبنـاء الكثـيرين وتوالـد أبناؤهمـا تألفت منهم في أمد قصير عائلة واحـدة خلقت من مـزاج نقي فكانت لها أمزجة متماثلة ونشأوا على سيرة واحدة في أحوال الحياة كلها وما كانت لتختلف إلا اختلافا قليلا ليس له أثـر يؤبـه به ولا يحدث في العائلة تنافرا ولا تغالبا، ثم إن الله تعـالى لمـا خلـق نـوع الإنسـان أراده ليكـون أفضـل الموجـودات في هـذا

العـالم الأرضـي فلا جـرم أن يكـون خلقـه على حالـة صـالحة للكمال والخـير"قـال تعـالى: "لقـد خلقنـا الإنسـان في أحسـن تقـويم" ([30]) . "فـآدم خلـق في أحسـن تقـويم يليـق بالـذكر جسما وعقلا وألهمه معرفة الخير واتباعه ومعرفة الشر وتجنبه فكانت آراؤه مستقيمة تتوجه ابتداء لما فيه النفع وتهتدي إلى ما يحتاج للاهتداء إليه، وتتعقـل مـا يشـار بـه عليـه فتمـيز النافع من غـيره ويسـاعده على العمـل بمـا يهتـدي إليـه فكـره جسد سـليم قـوي مـتين وحـواء خلقت في أحسـن تقـويم يليـق بالأنثى خلقا مشابها لخلـق آدم، إذ أنهـا خلقت كمـا خلـق آدم"، قال تعالى: " خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجهـا " ([31])، "فكانت في انسياق عقلها واهتدائها وتعقلها ومسـاعدة جسـدها على ذلك على نحو ما كان عليـه آدم. ولا شـك أن أقـوى عنصـر في تقويم البشر عند الخلقـة هـو العقـل المسـتقيم فبالعقـل تـأتى للبشر أن يتصرف في خصائصه، وأن يضعها في مواضع الحاجة إليها ، هكذا كان شأن الـذكر والأنـثى فمـا ولـدا من الأولاد نشـأ مثل نشأتهما في الأحوال كلها، ألم تر كيف اهتدى أحد بني آدم إلى دفن أخيه من مشـاهدة فعـل الغـراب البـاحث في الأرض فكـانت الاسـتنباط الفكـري والتقليـد بـه أس الحضـارة البشـرية".

"فالصلاح هو الأصل الذي خلق عليه البشر ودام عليـه دهـرا ليس بالقصـير، ثم أخـذ يرتـد إلى أسـفل سـافلين، ذلـك أن ارتـداد الإنسان إلى أسفل سافلين إنما عرض له بعوارض كانت في مبدأ الخليقة قليلة الطرو أو معدومته " ، ... "ولما كان النسل منسلا من الـذكر والأنـثى كـان بحكم الطبـع محصـلا على مجمـوع من الحالتين فـإن اسـتوت الحالتـان أو تقاربتـا جـاء النسـل على أحـوال مساوية المظاهر لأحوال سـلفه، قـال نـوح عليـه السـلام في عكسه ولا يلدوا إلا فاجرا كفـارا " ([32]) .."ثم كـثرت العائلـة البشرية وتكونت منها القبيلـة فتكـاثرت ونشـأ فيهـا مـع الزمـان قليلا قليلا خـواطر مختلفـة ، فجـاء النسـل على أحـوال مركبـة مخالفة لكل من مفرد حالتي الأب والأم"([33])

الحاصل من كلام الشـيخ ابن عاشـور أن النـاس كـانوا من أب واحـد ، ثم صـاروا عائلـة ، وأن خلـق الإنسـان كـان على حالـة صالحة للكمال والخـير ، وأن "أقـوى عنصـر في تقـويم البشـر عند الخلقة هو العقل المستقيم" ، واعتـبر الاسـتنباط الفكـري والتقليـد بـه من أس الحضـارة البشـرية ، ففي كـل هـذه

التعليمات القرآنية وبتمسكها يصبح المجتمع مجتمعا صالحا حضاريا وإلا يفسد أمن المجتمع ويتخلف .

"خاتمة البحث"

"الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا" ، وبعد ! فهذا ما تيسر فى هذا البحث المتواضع ، ومن خلال دراسة موضوع النظام العائلي فى تفسير"التحرير والتنوير" "لمحمد الطاهر بن عاشورالتونسي" – رحمه الله – وأثره على المجتمع الباكستاني، ظهرت النتائج التالية

1 : اعتبر الشيخ ابن عاشور نظام الزواج مؤثرا أساسيا فى الأسرة القوية .

2 : اعتبر الشيخ ابن عاشور الأسرة السوية الصحية أساس الحياة الاجتماعية السوية، و أساس المجتمع المتكامل .

3 : اعتبر الشيخ ابن عاشور صلاح المجتمع فى صلاح الأسرة ، واعتبر فسادها فساد المجتمع .

4 : جعل الشيخ ابن عاشور العقل المستقيم "أقوى عنصر في تقويم البشر عند الخلقة" ، "وكما اعتبر الاستنباط الفكري والتقليد به من أس الحضارة البشرية" .

5 : اعتبر الشيخ ابن عاشور التمسك بالنظام العائلي القرآني ضامنا لأمن المجتمع الباكستاني وكما اعتبر تمسكه صالحا لإنسانية العالم كله .

الهوامش:

[1] : "تـاج العـروس من جـواهر القـاموس" : "محمّـد بن محمّـد بن عبـد الـرزّاق الحسـيني، أبـو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي"(المتوفى: 1205هـ)، المحقـق: "مجموعـة من المحققين" ، ط : دار الهدايـة ،ج : 10 ،ص : 48 .

”Taj Al-arus min jawahir alqamus” : “mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni, 'abu alfayd, almlqqb bimurtadaa, alzzabydy” (almutawafaa: 1205hi) almuhaqaqa: majmueat min almuhaqiqin , t : dar alhidayat ,j : 10 ,s : 48

[2] :انظـر، "مقدمـة كشـف المغطى من المعـاني والألفـاظ الواقعـة في الموطـأ"، "محمـد الطـاهر بن عاشـور"، ضبطه: د. طه بن علي بوسريح التونسي، دار السلام، القاهر،ط 1 ٢٠٠٦ م، ص ٧،

Muqadimat kashf almughataa min almaeani wal'alfaz alwaqieat fi almuata'a, muhamad altaahir bin eashur, dabtahu: da. tah bin eali busarih altuwnisi, dar alsalami, alqahiri,t 1 2006 mi, s 7,

وانظر،"الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين،ط ، بيروت"، 15، 2002، ج 6،ص 174 بتصرف يسير.

- Al'aelami, khayr aldiyn alzarkili, dar aleilm lilmalayin,t , birut”, 15, 2002, j 6,s 174“

"وللاطلاع على حياة ابن عاشور وكل ما يتعلق بها انظر "من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمـد الطـاهر ابن عاشور حياته وآثاره"، د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت"، ط 1، 1996.

Aelam alzaytunat shaykh aljamie al'aezam muhamad altaahir abn eashur hayatah watharuhu, du. bilqasim alghali, dar abn hazma, bayrut, t 1, 1996.

، "و نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية، د. حسن عبد الجليـل عبـد الـرحيم، مجلـة جامعـة دمشـق للعلوم الاقتصادية والقانونية"، م ٢١ ، العدد الأول، ٢٠٠٥ م، ص 368.

Nahj ibn e Ashur fi alaihtijaj bialqira'at alquraniati, du. hasan eabd aljalil eabd alrahim, majalat jamieat dimashq lileulum alaiqtisadiat walqanuniati, m 21 , aleadad al'awala, 2005 mi, s 368.

[3] : انظر،"نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية": ٣٦٨ ، وانظر، "مقدمة كشف المغطى من المعـاني والألفاظ الواقعة في الموطأ": ١٢ ،

Muqadimat kashf al-mughataa min al-maeani wal'alfaz alwaqieat fi almuta'a: 10

وانظـر،"الأعلام":"لخـير الـدين بن محمـود بن محمـد بن علي بن فـارس، الـزركلي الدمشـقي" (المتـوفى: 1396هـ)، ج: ٤ ،ص: ١٧، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو 2002م.

Al'aelam : likhayr aldiyn bin mahmud bin muhamad bin ealii bin fars, alzarkli aldimashqii (almutawafaa: 1396hi) j 4, s : 17, alnaashir: dar aleilm lilmalayin , altabeatu: alkhamisat eashrat - 'ayaar / mayu 2002m

[4] : "التحرير والتنوير" : ج ١، 8.

Al-tahrir wa-tanwir : j: 1,s : 8.

[5]: "القمطر الجمل القوي السريع"، وقيل: "الجمل الضخْم القوي، وكل شيء جمعته فقد قمطرته، والقمطر ، والقمطرة ما تصان فيه الكتب". - لسان العرب: (قمطر).

Lisan alearabi:

[6] : "التحرير والتنوير: ج ١ ، 8.

Al-tahrir wa-Altanwir : j: 1,s : 8

[7] : المرجع السابق : ج ١ ، 8-9.

[8] : "لسـان العـرب" : "محمـد بن مكـرم بن على، أبـو الفضـل، جمـال الـدين ابن منظـور الأنصـاري الـرويفعى الإفريقى" (المتوفى: 711هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعـة: الثالثـة - 1414 هــ ، عـدد الأجـزاء: 15 ، ص: 230 ، ج: 13 .

“Lisan al-arab” : “muhamad bin makram bin ealaa، "'abu alfadali, “jamal aldiyn aibn manzur al'ansarii alruwayafeaa al'iifriqaa” (almutawafaa: 711hi) , alnaashir: dar sadir - bayrut , altabeata: althaalithat - 1414 hu , eadad al'ajza'i: 15 , si: 230 , ju: 13 .

[9] : "القاموس المحيط" : "مجد الدين أبو طاهر محمـد بن يعقـوب الفيروزآبـادى" (المتـوفى: 817هـ) ، تحقيـق: "مكتب تحقيـق الـتراث في مؤسسـة الرسـالة ، بإشـراف: محمـد نعيم العرقسُوسي"،الناشر:"مؤسسةالرسالةللطباعةوالنشر والتوزيع"، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثامنـة، 1426 هــ - 2005 م ، عدد الأجزاء: 1.، ص : 1208 ، ج: 1 .

“Alqamus almuhit” : "majd aldiyn 'abu tahir muhamad bin yaequb alfayruzabadaa" (almutawafaa: 817hi) , "maktab tahqiq alturath fi muasasat alrisalat , bi'iishrafi: muhamad naeim alerqsusy , alnaashir": "muasasat alrisalat liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut" - lubnan , altabeata: althaaminati, 1426 hi - 2005 m , eadad al'ajza'i: 1., s : 1208 , ji: 1 .

[10] :: "تـاج العـروس من جـواهر القـاموس" : "محمّـد بن محمّـد بن عبـد الـرزّاق الحسـيني، أبـو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي" (المتوفى: 1205هـ) ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية ، ص : 253 ، ج: 35 .

“Taj alearus min jawahir alqamus” : “mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni”," abu alfayda, almlqqb bimurtadaa, alzzabydy" (almutawafaa: 1205hi) , almuhaqiqi: majmueat min almuhaqiqin , alnaashir: dar alhidayat , s : 253 , ju: 35 .

[11] : "معجم لغة الفقهاء" ، ص : 256 ، ج: 1 .

Muehim lughat alfuqaha' , s : 256 , ji: 1 .

[12] : "كتـاب العين" : "أبـو عبـد الـرحمن الخليـل بن أحمـد بن عمـرو بن تميم الفراهيـدي البصـري" (المتـوفى: 170هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، عدد الأجزاء: 8 ، ص : 166 ، ج: 8 .

“Kitab aleayn” : 'abu eabd alrahman alkhalil bin 'ahmad bin eamriw bin tamim alfarahidii albasri (almutawafaa: 170hi) , “almuhaqiqi: d mahdi almakhzumi”, d 'iibrahim alsaamaraayiyi , alnaashir: dar wamaktabat alhilal , eadad al'ajza'i: 8 , s : 166 , ji: 8 .

[13] : "تهذيب اللغة" : "محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور" (المتوفى: 370هـ) ، المحقق: "محمد عوض مرعب" ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، 2001م ، عدد الأجزاء: 8 ، ص: 280 ، ج: 14 .

“Tahdhib al-lughat” :” muhamad bin 'ahmad bin al'azharii alharawi”, 'abu mansur (almutawafaa: 370hi) , almuhaqiqi:” muhamad eawad mureib , alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut , altabeatu: al'uwlaa, 2001m , eadad al'ajza'i: 8 , si: 280 , ju: 14 .

[14] : "معجم متن اللغة" ("موسوعة لغوية حديثة") : "أحمد رضا" ("عضو المجمع العلمي العربي بدمشق") ، الناشر: "دار مكتبة الحياة" – بيروت ، عام النشر: [1377 ـ 1380 هـ] ، جـ 1 و 2/ـ 1377 هــ - 1958 م ، جـ 3/ 1378 هـ - 1959 م ، جـ 4/ 1379 هـ - 1960 م ،
جـ 5/ 1380 هـ - 1960 م ، عدد الأجزاء: 5 ، ص : 251 ، ج: 4 .

“Muejam matn allugha” (musueat lughawiat haditha) : 'ahmad rida (eudw almajmae aleilmii alearabii bidimashaqa) , alnaashir: dar maktabat alhayaat - bayrut , eam alnashr: [1377 - 1380 ha] , ji 1 w 2/ 1377 hi - 1958 m , ju 3/ 1378 hi - 1959 m , ju 4/ 1379 hi - 1960 m ,

[15] : "معجم الوسيط" ، ص : 637 ، ج: 2 .

Muehim al-wasit , s : 637 , ji: 2

[16] . : التحل :

Al-nahl

[17] : الروم : 21 .

Al-ruwm : 21 .

[18] : "التحرير والتنوير"، ص : 216 ، ج: 14 .

. Al-tahrir wa-tanwiri, s : 216 , ju: 14

[19] : النساء : 21 .

[20] : "التحرير والتنوير" ، ص : 289 ، ج: 4 .

Al-tahrir wa-tanwir , s : 289 , ji: 4 .

[21] : البقرة : 228 .

Al-baqarat : 228

[22] : النساء: 19 .

Al-nisa'i: 19

[23] : النساء: 34 .

Al-nisa'i: 34 .

[24] : النساء: 19 .

Al-nisa'i: 19

[25] : النور: 30 .

Al-nuwr: 30 .

[26] : النور: 30 .

Al-nuwr: 30 .

[27] : المؤمنون: 5- 6 .

Al-muminuna: 5- 6 .

[28] : التحريرؤ والتنوير : ص : 397- 399 ، ج: 2 .

Altahrir waltanwir : j: 2,s : 399-397

[29] : البقرة: 213 .

Albaqaratu: 213

[30] : التين: 4

Altiyni: 4

[31] : النساء: 1 .

Alnisa'i: 1 .

[32] : نوح: 27 .

Nuh: 27

[33] : التحرير والتنوير ، ص : 304 ، ج: 2 .

Al-tahrir wa-tanwir , s : 304 , ji: 2